

جناية أحمد أمين

على الأدب العربي

للدكتور زكي مبارك

- ٨ -

—❦—

عرف الناس ما كان من ازعاج الأستاذ أحمد أمين من كلمة الحق، وفهموا أنه تجلد وتصبر إلى أن يحجز عن التجلد والتصبر، وللطاقة الإنسانية حدود

وما كنت أحسب أن الأيام ستقهر الأستاذ أحمد أمين على أن يهدني بأبيات فيها لومة جاهلية، وهو الذي دعا الأم العربية إلى وضع آثار الشعر الجاهلي في « متحف » لا يدخله الناس إلا بعد استئذان !

ويمز على والله أن يزعم الأستاذ أحمد أمين وأن يدعى أنه تلقى رسائل من مختلف الأقطار العربية فيها سباب موجه إلى من هم عليه في مجلة (الرسالة) . فهذا الادعاء يشهد بأنه بمجز عن الصدق في بعض الأحيان

لو كان الأستاذ أحمد أمين يعرف عواقب ما يصنع لفهم أن الأمر كان يجب أن يكون بالمكس : فهو يجني على ماضى الأدب

طلالا أوقع اليهود قديماً وحديثاً في قتال وتزاع مع الأجناس المجاورة، وطلالا أدى إلى ضياع فائدة اليهود الدينية الحقيقية . ولكن حقائق الحياة والضرورة قد تفرى اليهود بقبول الاستيطان في بقعة أخصب من فلسطين وأقل سكاناً وأوسع رقعة . ويمكن إرضاء الماطفة الشعبية بأن يسمى ذلك الوطن الجديد (فلسطين الجديدة) أو (صهيون) وأن ينشروا فيها مدناً تسمى بأسماء المدن القديمة في فلسطين القديمة . ويمكن إرضاء الرعة الدينية بأن ينقلوا من الأحجار والآثار المقدسة ، ومن تربة أرض فلسطين القديمة إلى فلسطين الجديدة ما يقدس به الهيكل الجديد وما هو ضرورى للدفن الدينى القدس . وهذا الحل يجمع بين إرضاء الماطفة وبين الفائدة الاقتصادية

عبد الرحمن شكرى

العربي بأحكامه الخواطي، ومحتال لإفهام الجمهور أن أدباء العرب لم يكونوا أصحاب أرواح، وإنما كانوا أصحاب ممدات . وأنا أدفع تلك التهم وأصحح ما وقع في كلامه من أغلاط

فن الذى يستحق اللوم والسباب فى هذه القضية ؟
لو فرضنا جدلاً أنى أشاغب الأستاذ أحمد أمين لكان من الدون أن يتلقى العرب هذه المشاغبة بانتبول ، لأن فيها تعجيداً لماضى الأمة العربية

ولو فرضنا جدلاً أن الأستاذ أحمد أمين على حق فى السخرية من ماضى الأدب العربى لكان من الطبيعى ألا يستريح العرب إلى ذلك الحق ، لأن الأبناء الأبرار يحسمون محاسن آباءهم ويتناضون عما قد يكون فيهم من عيوب

والأمر ليس كذلك فى هذه القضية : فالأستاذ أحمد أمين لم يكن فى جانب الحق حين قال فى الاستهزاء بالأدب العربى ما قال، وأنا كنت وما زلت فى جانب الحق حين حكمت بأن الأدب العربى أدب أصيل ، وأنه خليق بالخلود

الأستاذ أحمد أمين يروح عن نفسه بذلك الادعاء الطريف ليوم القراء بأن أدباء العرب فى مختلف الأقطار قد توجعوا له أشد التوجع ، وتمرضوا لخصمه بالشم والسباب ، كأن أدباء العرب لم يبق لهم مأرب يحرسون عليه غير حاية أحمد أمين من كلمة الحق !

ولنفرض جدلاً أن أدباء العرب جميعاً وقفوا فى صف هذا « الأديب » فهل يتوهم أنه سينجو من قلى حين ينحرف عن الصواب ؟

لقد سرفى والله أن يتناول على صاحب « الرسالة » وأن يتهمه بسوء النية فى نشر هذه المقالات ؛ فصاحب « الرسالة » قد آذانى أشد الإيذاء حين استباح أن يحذف من المقالات الماضية بعض الفقرات ، ليظل مهذباً مؤدباً كسديقه المهذب المؤدب أحمد أمين !

كم تلطفت وترقت فى موطن لا يجوز فيه لطف ولا رفق، ثم كان جزأى أن يقال إن أدباء العرب غضبوا على وسبوا لأنى جهرت بكلمة الحق !

ومع ذلك فما الذى يؤذيك منى يا أحفاد يرب وخطان ؟

ألا يشهد ذلك بأن شعراء العرب كانوا يدركون قيمة الطبيعة
في إذكاء الأرواح وإرهاف القلوب ؟

وهل فكر أحمد أمين في شيء من ذلك ؟
هل خطر في باله أن شعراء العرب في الأعصر الخالية كانوا
تعلقوا أشد التعلق بالسياحات والرحلات حتى صار من النادر
أن يقر شاعر في بلده إلى أن يموت ؟

قد يقال إن ذلك كان مسمياً في طلب الرزق
ونجيب بأن الشعراء كانت لهم غايات أعظم من طلب الرزق ،
فقد كانوا يستأنسون بالبلاد والبحار والأنهار والجبال حتى يتمكن
القول بأن دواوينهم في بعض مناحيها تشبه الخرائط الجغرافية .
وهل نسيت قصيدة المتنبي في شعب بوان ؟ هل نسيت قصيدة
البحترى في إيوان كسرى ؟ هل نسيت قصائد الأندلسيين في أهرام
مصر ؟ هل نسيت قصائد الشريف الرضي في أطلال الحيرة ؟
هل نسيت قصيدة الأنطاكى في ليالى الجزيرة والنيل ؟ هل نسيت
ألوف القائد التي سجلت أهواء الشعراء في الحنين إلى معاهد
الأنس والوصال ؟

لقد هجر ابن زريق وطنه في طلب الرزق ، فهل عرفتم كيف
اكتوى بالتشوق إليه يوم مات ؟
إن الذى يحكم بأن شعراء العرب لم يحسوا الطبيعة ولم يتفنوا
بأفانين الوجود لا يكون إلا رجلاً حرمة الله نعمة الفهم العميق
لأسرار الشر والبيان

لقد أراد الأستاذ أحمد أمين أن يحكم بأن الشعراء في العصر
الأموى والعباسى قلدوا شعراء الجاهلية في وصف الرسوم والطلول
فهل نستطيع أن ندله على أن هياماً أولئك الشعراء بوصف الرسوم
الهوامد ، والطلول المافية ، ليس إلا تعلقاً بالطبيعة في جانبها الباكى
الجزين ؟

إن صديقنا أحمد أمين لم يفهم كيف وقف أبو نواس على الطلول
بعد أن سخر ممن يقفون على الطلول وهو يرى ذلك رجعة إلى
التقاليد الجاهلية . فهل يظن أن الطلول كانت انقضت لعمد
أبي نواس ولم يبق إلا العمران الباقي على الزمان ؟

فأراه إذا حدثته بأن صور الطلول لا تزال باقية إلى اليوم ؟
أشهد صادقاً أنى ما مررت بشارع الرملة في مصر الجديدة
إلا خفق القلب لرسم كان لى فيه صديق أضاعه القلم الجرح

أليس في مقدوركم أن تحتملوا أديباً جنى على نفسه وعلى
معاشه ليرفع راية النقد الأدبى ؟

أليس في مقدوركم أن تحتملوا أديباً يقتل أعصابه في أوقات
القيظ ليرد عادة المادين على اللغة العربية ؟
ألا تستطيعون أن تغفروا زلة رجل جهل أخلاق الزمان
فعتصم بالحق والعدل ؟

لقد حدثنى عنكم أحمد أمين بما لا أحب ولا تحبون
فإن كان صدق فيما حكاه فغفر الله لكم ! وإن كان تزيد
فعفا الله عنه !

وسبحان من لو شاء لهدانا جميعاً إلى سواء السبيل

أما بعد فقد كان السياق يوجب أن تكون كلمة اليوم في نقض
ما ادعاه أحمد أمين على الأدب الأندلسي من الجلود أمام الطبيعة
الآمنة في تلك البلاد

ولكنى أحببت أن أقف وقفة قصيرة عند إحساس العرب
بالطبيعة وبالوجود

يعرف كل من اطلع على كتب الأدب أن الشعراء كانوا
يتواصون عند نخود القريحة بالنظر إلى المياه الجارية ، والرياض
الحالية .

ومعنى ذلك أنهم كانوا يفهمون أن النظر إلى جمال الوجود
يوقظ المواطن ويُرهب الأحاسيس

وهذا يشرح السبب في غرام العرب بافتتاح القصائد بالتسليم
لأنهم كانوا يدركون أن تأثر الشاعر بأقوى مظاهر الطبيعة
وهو الجمال يوجه إحساسهم إلى مختلف الأغراض

ومثل الشاعر في ذلك مثل المتنبي . فالتدبير مجلس في هدوء
نم تصدح حوله الموسيقى بأصوات مختلفات ، ويظل كذلك إلى
أن يستيقظ ما كان غفاً من أحلام القلب والروح فينتطلق في النشيد
وكذلك كان شعراء العرب : كانوا يهيمون بالرياض الحالية ،

أو الديار للمافية ، أو المياه الجارية ، قبل أن يشرعوا في نظم
القصائد . فإذا أخذوا في النظم بدأوا بالجواب الدقيقة من ذوات
أنفسهم وقلوبهم ليواجهوا الأغراض المنشودة وهم في فورة من
طغيان المواطن وعنفوان الأحاسيس

وكذلك صنع الشاعر الذي قال :

تعمو المنازل إن نأوا عنها وتغرب البلاد
والحي أولى بالبلى شوقاً إذا بلى الجاد

فن الذي يستطيع أن يحكم بمد هذه الشواهد بأن شعراء العرب لم يحسوا معاني الوجود ؟ ومن الذي ينكر صدق اللوعة على ابن الخياط إذ يقول :

وقفت أداري الوجد خوف مدامع

تبيح من السر المنع ما أحمى
أغالب بالشك اليقين صبابةً وأدفع من صدر الحقيقة بالوهم
فلما أبي إلا البكاء لي الأسى بكيت فما أقيت للرسم من رسم
كأنى بأجزاء النقية مسلم إلى نازل يعرف الصنح عن جرم
لقد وجدت وجدى الديار بأهلها ولولم تجد وجدى لما سقمت سقمى
عليهنّ وسمّ للفراق وإنما على له ما ليس للنار من وسم
وكم قسمّ البين الضنى بين منزل وبينى ولكن الهوى جائر القسم
منازل أدراس شجاني نحوها

فهلاً شجها نأحل القلب والجسم ؟
فأراى الأستاذ أحمد أمين في هذا الشعر النفيس ؟ وهل
خطر في باله أن شعراء العرب لهم أمثال هذه المعاني ؟
أنا أخطب رجلاً من أساتذة كلية الآداب ، ولولا ذلك
لشرحت ما في هذه القصيدة من شواهد الإحساس بقدرة الطبيعة
على تذوق البؤس والنعيم

وهل اتفق لشاعر في شرق أو في غرب أن يصل إلى قول
بعض الأعراب في توديع نجد :
أقول لصاحبي والميس تهوى بقا بين النيفة والنضار
تمتع من شيم عمار نجد فما بمد المشية من عمار
ألا يا حبذا نفحات نجد ورياً روضه بمد القطار
وأهلك إذ يحل الحى نجداً وأنت على زمانك غير زار
شهور ضيف وما شعرنا بأنصاف لمن ولا سرار
ولكن الأستاذ أحمد أمين قد يتهمتا بالتمصّب للأدب العربي
ويقول إننا ننظر إليه بعين الحب ، فهل يستطيع أن يدلنا على
شاعر أوربي توجه لفراق النعيم في وطنه مثل هذا التوجع ؟
إن العرب لم يسودوا من باب المصادفات ، وإنما سادوا لأن

أشهد صادقاً أني أتلقت من حين إلى حين وأما أخترق شوارع
مصر الجديدة عسانى أرى الصديق الذى كنت أسأره لحظات
أو ساعات ونحن نتعقب بالنقد اللاذع أحوال الدنيا والناس
فكيف يكون حال لو نظمت قصيدة في التوجع لتلك الدار
التي صارت ربما بعد أن صنعت في تجريح صاحبها ما صنعت ؟
وهل يمكن القول بأن ابن المعتز كان يقلد شعراء الجاهلية
حين قال :

لا مثل منزلة الدورية منزل يا دار جادك وابل وسقال
بؤساً لدهر غيرتك صروفه لم يحج من قلبي الهوى وعماك
لم يحل للمنين بعدك منظر ذمّ المنازل كلهن سواك
أى للمعاهد منك أئنب طيبه ممسك بالآصال أم مفداك
أم رد ظلك ذى النصوص وذى الجنى
وكانما سعطت مجامر عنبر أو فت فار للمسك فوق تراك
وكانما حصباء أرضك جوهر وكان ماء الورد دمع نذاك
وكان درعاً مفرقاً من فضة ماء الفدير جرت عليه صباك
وقد ترجمت هذه الأبيات إلى الفرنسية في النسخة الفرنسية
من كتاب النثر الفنى فعدّها الفرنسيون من أصدق ما تحدثت
به القلوب

فهل يرى صديقنا أحمد أمين أن هذه القصيدة لا تمثل إحساس
الشعراء بالوجود ؟

وهل يمكن الشك في قول ابن سنان الخفاجي :

ولما وقفنا بالديار وعندنا مدامع نسيها لكم وثيرها
شكرونا إليها ما لقينا من الضنى فمرقنا كيف السقام دورها
وقد درست إلا أماره ذا كر تلوح له بعد التمدادى سطورها
خليل قد عمّ الأسى وتقاسمت فنون البلى عشاق ليل ودورها
فلا دار إلا دمنة ورسومها ولا نفس إلا لوعة وزفيرها
لعمري إلى ما حمدت قديمها فيوحشني ذهابها ومروها
وقالوا عطاء الدهر يبل جديده ومن لي بدنيا لا يزول سرورها
فهذا شاعر لا يكتفى بأن يقول إنه يحس الطبيعة ، وإنما
يؤكد أن الطبيعة توجهت لمن يهواه ، وذلك غاية الغايات
في الإحساس بالوجود

لو كان صديقنا العزيز أحمد أمين قد اطلع على الأدب العربي لتذكر نخلتي حلوان في شعر مطيع بن إلياس ، وكان لها في حياة الخلفاء أحاديث يذكرها بالدمع من قرأ معجم البلدان . ولكن أين أحمد أمين من هذه الشؤون وهو مفتون بالحدقة والإلهام ؟ إن أحمد أمين لا يجني على الأدب العربي ، وإنما يجني على نفسه حين يزعم أن التشبيهات ليست إلا الألعاب ولو كان من أهل الخبرة بدقائق الأشياء لعرف أن التشبيهات من أصدق الشواهد على تعلق العرب بالطبيعة والوجود ولني أشرح له هذا المعنى إلا يوم يعرف أن من واجب المرء أن يطلب العلم من المهد إلى اللحد . وقد تلوح فرصة قريبة فأشرح هذا المعنى لمن يهمهم أن يعرفوا كيف تنيب حقائق الأدب عن هذا « الأديب » وهل نكتف ما نعرف مكيدة للصديق أحمد أمين ؟

لقد استطعنا بحول الله وقوته أن نبذل الشبهات التي أثارها حول الأدب العربي من يجهلونه كل الجهل أو بعض الجهل فلنأخذ بعد ذلك في رفع التهمة عن الأدب الأندلسي ليعرف من لم يكن يعرف أنه خلق بأن ينصب له كرمي خاص في كلية الآداب . والأمل كبير في أن يفخر الأستاذ أحمد أمين جنابتنا عليه حين أفهمناه أن في مصر ناساً يقرأون ويحكمون فإن كان قد استمر العافية من سكوت النقاد بضع سنين فليعرف أن ذلك حلم تبدد ، ونعم ضاع ، وعليه أن يستقبل الكاره بمزائم الرجال والله وحده يعلم أني لم أرد بهذا النقد غير وجه الحق ، ومنه وحده أنتظر حسن الجزاء « لحدث شجون »

زكي مبارك

لهم عبقرية ذاتية قضت بأن يسيطروا على العالم زماناً غير قليل . وقد دالت دولة العرب أكثر من عشرة قرون ، ومع ذلك بقيت سلطتهم الأدبية والروحية . فهم سادة لثلاث من الملايين وإن لم يبق لهم عرش ولا تاج

وقد محدلقو التحذلقون فقالوا إن الفقه الإسلامي صورة من الفقه الروماني ، فهل هذا صحيح يا بني آدم من أدياء العلم بأصول الشرائع ؟

إن العرب سادوا بحق ، وقد تركوا ثروة أدبية وفلسفية وتشريعية لا يقض من قدرها إلا حاقداً أو جهول فتى ترجع إلى أنفسنا لنبحث عن الميراث النبيل الذي ورثناه عن أسلافنا النبلاء ؟

لقد سمعنا وسمنا كيف بنى الأسبانيون بعضهم على بعض ، وكيف فصل في تلك المارك الدامية بعد نحو ثلاث سنين فهل تذكر أن أسلافنا صبروا على المارك الأسبانية نحو ثمانية قرون ؟

وهل كان ذلك إلا لأنهم شعروا بأن الأندلس قطعة من أرواحهم وقلوبهم ؟ فكيف تحكمون بأنهم لم يحسوا الطبيعة ولم يتشبعوا بالوجود ؟

إن العرب في أغلب أحوالهم عاشوا عيشة جافية قضت عليهم بأن يتلصوا مساقط الغيث ، فكيف يقال إنهم لم يحسوا الطبيعة إلا بطريق سطحية ؟

أكتب هذا وأنا أعرف أن الأستاذ أحمد أمين سيهز كتفيه ويقول : « هذه خطايا يراود بها اكتساب عواطف الجمهور ! »

إن قال ذلك فسأحيله على تاريخ يحيى بن طالب فهل يعرف من هو يحيى بن طالب ؟

وكيف يجهله وهو يتصدر لتدريس الأدب العربي بكلية الآداب ؟ إن يحيى بن طالب أحسن الطبيعة وأحسن الوجود إحساساً نادر المثال ، وهو وحده كاف للزكاة عن الأدب العربي ، وقد اتهمه من لم يعرفوه بأنه خال من وصف مظاهر الطبيعة وأشكال الوجود

فهل نتظر أن يظهر هذا الشاعر بفصل نفيس من « فصول أحمد أمين ؟

